

التجارب من اليمين

الأرشمندريت خريسوستوموس من دير الكوتلوموسيو

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

ليس "اليمين" و"اليسار" حكراً على الاصطافات السياسية. يُستخدم هذان المصطلحان أيضاً لتحديد فئتين من التجارب في الحياة الروحية. في الواقع، نظراً لصعوبة إدراكها، تُعتبر التجارب التي "من اليمين" الأكثر خطورة.

متى تأتي التجربة من اليمين ومتى من اليسار؟ هذا مثال. إذا قدّم لك الشيطان اقتراحاً بضرورة خداع زميل في العمل لمصلحتك الخاصة، فهذه تجربة "من اليسار". أنت تعرف من أين أتت وتقبلها أو ترفضها. لكن إذا همست الروح الشريرة بأننا في أزمة، وأن زميلك في العمل ليس لديه عائلة، ومن ثم يمكنك خداعه من أجل أطفالك، فهذا إغراء "من اليمين". بعبارة أخرى، يتم إظهار التجربة كمثال هدف جيد، أو على الأقل كشيء لا بد منه. إنها طريقة لتفريق ذرائع الخطايا.

يمكن أن تكون التجربة من اليمين أكثر "قداسة". قد تظهر كملاك نور، مع أفكار تقوى ومقاطع من الكتاب المقدس. إنها تقدّم للعقل كذبة تحت ستار الحقيقة. إنها تُعرض فضيلةً هي، في الواقع، شرّ مقنع. وهكذا، فإنها قد تدخل سوء النية إلى النفس، متسرّبة ثوب الدفاع عن الإيمان. في مثل هذه الحالة، يعتقد الأثانيون وغير المتسامحين أنهم غيرون عن الله، وإلا فإن التراخي واللامبالاة ينموان، مغلفين بالاعتدال والوداعة. يقدّم الأشخاص غير المكثرئين والمتقاعسون أنفسهم على أنهم مسالمون ووديعون. في مناسبات أخرى، يمكن اعتبار القسوة صرامةً أو صدقاً. يمكن أن يظهر الأشخاص غير المتسامحين على أنهم مستقيمون وأصحاب ضمير حي. ويمكن للتجربة أيضاً أن تتخذ أشكالاً أخرى لإخفاء طبيعتها الحقيقية، وبالتالي يمكن أن تدخل القلب مثل اللصوص وتنهبه.

كان آباء الصحراء يعرفون مكائد الشيطان جيداً، ولهذا السبب يحذروننا من هجوم أكثر دقة من اليمين. عندما يصل النوس إلى النقطة التي يصلّي فيها بحرارة، عندما نشعر بالهدوء والدفاع الحسن، فإن الشياطين، الذين يريدون إرباكنا، يهاجمون من اليمين. إنهم لا يعرّفون عن أنفسهم، بل هم يختلقون مدح الله وأشياء أخرى نحّبها. ثم يعتقد النوس أنه قد حقق الغرض من الصلاة. بهذه الطريقة يزرع الشرير بذور المجد الباطل والكبرياء في دماغنا.

في كثير من الأحيان، يستخدم الروح الشرير الحقائق. إنه يقول "الحقيقة"، لكن ليس "الحقيقة الكاملة ولا شيء سوى الحقيقة". حتى علماء السحر والتنجيم يمكنهم إظهار أشياء غير مرئية و"يتنبؤون"، مدّعين أنهم يعتمدون على قوة المسيح، لكنهم مندمجون مع الشر ويتنبؤون بما يريد

الشیطان منهم. هذا له أهمية خاصة في يومنا هذا وعصرنا، لأن الخرافات قد ترسخت في المجتمعات المادية وتتسلل الآن إلى حياة الكثيرين، حتى المسيحيين. يمكن لكل من القديس وعالم التنجيم أن يخبرنا باسمنا أو بالمشكلة التي تزعجنا. لكن معيار القداسة هو التواضع والمحبة التي ينقلها الناس كبخور طبيعي زكي.

كيف نتعرف على التجارب من اليمين؟ أولاً، ينطبق مبدأ عام: إذا كان الأمر ليس من الله، فإن الشيطان سيقدم أفكار الافتخار. ثانياً، يجب أن نضع في اعتبارنا أن ما يبدو صحيحاً تماماً في كثير من الأحيان هو مجرد انعكاس لإرادتنا الشخصية.

لقد رأى القديس أنطونيوس أفخاخ الشيطان منتشرة على الأرض وتساءل من يستطيع التغلب عليها. وسمع صوتاً يقول له: التواضع. التواضع الحقيقي الأصيل هو ما يكشف أفخاخ الشيطان. والتواضع ليس مجرد أفكار عن التواضع، ولا بالطبع التظاهر بالتقوى والمظهر الخارجي للورع. إنه إحساس عميق بحالتنا، بأننا أضعف من الظلال، وبأن كل ما نفعله وكل ما لدينا ليس ملكنا.

كمثال للتواضع، يجب أن نذكر هنا اللقاء بين القديس زوسيماس والقديسة مريم المصرية. كان القديس زوسيماس رئيس دير جليل يحمل رتبة الكهنوت العالية. أما القديسة مريم فكانت زانية في السابق، لكنها قضت بقية حياتها في البرية ووصلت إلى ذروة القداسة. في اجتماعهما غير المتوقع في الصحراء، يبدو أن لا أحد منهما كان على دراية بمكانتهما ومزاياهما. على العكس من ذلك، انحنى كل منهما إلى الأرض، لإظهار الاحترام للآخر وطلب كل منهما بركة الآخر. كان التواضع يأتي من قلبين بسيطين. والقلب البسيط دائماً ما يقارن نفسه ليس بالآخرين بل بنقاوة الله وقيادته اللامحدودتين. عندما تستنير الروح بالورع، تصير قادرة على تمييز مصدر الفكر أو الشعور أو الميل.

في الأساس، يتم التعبير عن التواضع بروح الاسترشاد. كان الأب الكبادوكي، القديس غريغوريوس، يُدعى اللاهوتي، لكنه أشار إلى نفسه على أنه تلميذ مدى الحياة. ولم يقبل آباء الصحراء أبداً أي وحي دون إخضاعه أولاً لفحص رهبان آخرين أكثر خبرة. يتم الكشف عن حقيقة الله بحياة الاسترشاد والمحبة.

هناك من يؤمن بأن أفعالاً خارجية، أو هدوءاً خارجياً، أو صراعاً مزعوماً من أجل الإيمان يجعلهم معلمين ومستشارين وقضاة في العالم كله. يمكنهم أن يقولوا "سامحني" أو "أنا الخاطيء" بقدر ما يريدون، لكنهم لا يقصدون ذلك. لا يوجد تجربة أعظم من الاعتقاد بأن نضالنا وإيماننا يعطيانا الحق في التصرف كمحور للأرثوذكسية أو كمحققين دينيين. إنه لمن الغريب والمثير للتساؤل كثيراً مدى ترسخ اعترافنا بإيماننا والدفاع عن التقليد في الأثنية التي لا هوادة فيها. عندما لا يكون هناك تواضع

حقيقي، يصبح القلب قاسياً مثل الصوان ويغرق في هاوية الرأي المتعنت، وأحياناً حتى الجحود. وهذا ما نسميه الوهم.

Source: Ιερομ. Χρυσόστομος Κουτλουμουσιανός. Ο εκ δεξιών πειρασμός. (Απόσπασμα από Όμιλία). Η Αλλη Οψις, 28 Νοεμβρίου, 2017. <https://alopsis.gr/o-ek-dexiwn-peirasmos-ierom-chrystostom/>

* أيقونة تجارب المسيح التي تظهره مجزباً من الشيطان مرّةً بالمجد الباطل عن اليمين ومرّةً بالحاجة البشرية عن اليسار. جدارية من القرن الرابع موجودة في طير الميتيورا الكبير في اليونان.